محمد ثابت | نشر في ١ يوليو ٢٠١٧,

لماذا يخذل االله حركات إسلامية معاصرة حتى اليوم؟

للعام الرابع على التوالي يظل موقف الجماعة في مصر وخارجها كما هو، الملايين مضارين بين مُطارد ومسجون ومصاب، بالإضافة إلى عائلات تتضور من المعاناة بعد طرد عائلهم من وظيفته الحكومية أو حبسه أو حتى هربه، وما عاد بالقليل أن نسمع عن قصص بيع أثاث المنازل لتتقوت عائلات ربّها مطارد أو مسجون أو شهيد، فيما توارت بالحجاب أمنيات نصر االله القريب الذي سيتنزل على المستضعفين دون حول لهم ولا قوة، وفيما تشتد المعاناة بالمصريين الشرفاء المخلصين في أغلبهم، لم تعد بارقة أمل تلوح في الأفق بقرب انفراجة ترحم أناس يعانون داخل البلاد وخارجها، ولا يدرون غدًا لمأزقهم الذي يشتد يومًا بعد يوم وساعة بعد أخرى!

وما حال الإخوان ومناصريهم في مصر إلا مثال لمعاناة حركات إسلامية في الوطن العربي، وإن كان مثالًا شديد الضراوة فيبقى أنه أقل مرارة مما لقيته "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" في الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي وما تلاها، لما أقبلت على تجربة الحكم وفازت بالصناديق وتم الانقلاب عليها من جانب العسكر أيضًا، ولم يمنع هذا الإخوان في مصر من السير في نفس الطريق، وفي المنتصف تعاني حركات إسلامية على نحو أو آخر هنا وهناك.

ويبقى في النفس سؤال: ترى ما الذي نقص الإخوان في مصر لكيلا تتنزل عليه المعونة الإلهية؟ وبالتالي لماذا تعاني الحركات الإسلامية بعامة اليوم؟

والكلمات الماضية تحمل بين طياتها لدى صاحب هذه الكلمات إشكالية من جزئين: الأول هل الطاعة

والعبادة تساوي نصر االله لعباده الطائعين العابدين؟ بمعنى أصح هل كانت فكرة الإخوان عن أن عبادتهم الله في ميدان رابعة العدوية بخاصة طول شهر رمضان 1434هـ كافية لنصرتهم، هل كانت الفكرة صحيحة؟

بعيدًا عن أن الواقع أيد عدم صحة التصور والمفهوم الإخواني، وأن تثبيت االله يتنزل على الآخذين بالأسباب لا المُصلين الصائمين الذين لا يعرفون كيفية السعي لحل الأزمة التي هم فيها، أو حتى مجرد تأمين أنفسهم، مع الاحترام التام الكامل لشهداء ميدان رابعة العدوية والمُضارين في جميع ميادين مصر، إلا أن غياب الأخذ بالأسباب يساوي البقاء "محلك سر"، ولو نصر االله صائمين قائمين عابدين دون عمارتهم الأرض، أو إحسانهم الأخذ بالفعل الحضاري الواجب لصار لزامًا عليه تعالى نصرة كل تارك لأسباب الحضارة مكتفئ بالعبادة، ولتنافي هذه مع هدفه تعالى من خلق الإنسان بجعله خليفة له في الأرض، وبحسن عمارة الأرض التي تأتي بالعبادة الصحيحة التي خلق االله لها الجن والأنس بعد الصلاة والصيام وبقية الأركان.

أمر الطاعة القائم بين الإنسان وربه الخاص بالتدرج والرقي الحضاري يتم خرقه فيما يخص حقوق الآخرين

فليس الانغماس في الطاعة، وحده، مع التقدير للطاعة، يساوي نصرته تعالى ما لم يواكبها فعل مناسب للحفاظ على النفس وزراعة الخير في الأرض، فإن واكبت العبادة الفعل الحضاري المُعمر للأرض فبها ونعمى، وإلا نصر االله المتحضر ولو كان كافرًا أو خائنًا طالما استطاع الاستنصار بمن لديهم سبل النصرة وحبال القوة، وربما أراد االله من هذا إفاقة المسلم الغافل عن طبيعة المعادلة.

على أن أمر الطاعة القائم بين الإنسان وربه الخاص بالتدرج والرقي الحضاري يتم خرقه فيما يخص حقوق الآخرين، وهو الجزء الثاني من الإشكالية، فلا ينصر االله مصليًا قائمًا لا يُحسن الأخذ بالأسباب الدنيوية، ولكنه تعالى يخذل كل متجرئ على حقوق الناس، مستسهل الاستئثار بها لنفسه، وأزعم أنه في مصر، على الأقل، كانت الآلاف تتداعى للعبادة في الميادين فور الانقلاب في 2013م فيما كان ظلم النفس يعمل على أشده بينهم، وإلا فأين ما قاله مسؤول إخواني بارز في جلسة خاصة مؤخرًا، وهو أحد المُغادرين لمصر فور الانقلاب من أن الإخوان في عهد "مبارك" لم يتوقعوا لا الثورة المصرية ولا مناخ الحرية المؤقت التابع لها، ولا ترشحهم للرئاسة ولا الانقلاب ولا ما تبعه من موقف بالغ الصعوبة اليوم.

إن ظلم النفس الجمعي أودى بأن تتخذ بعض القيادات بمعزل عن الأساس قرارات سياسية بالغة الخطورة زجت بالصف كله في محنة لا يعلم إلا االله مداها، ثم إن القيادة تتبلبل اليوم بعدما أضاعت بوادر للحل بعد الانقلاب مباشرة بتصميمها على تكرار سيناريو يناير/كانون الأول 2011 في غير سياقه.

ولم ينتبه الإخوان إلى ظلم النفس المستشري بينهم في مصر في حقوق العباد، بداية من انتقاء عناصر لا تصلح لإنصاف الآخرين وتصعيدهم في الجماعة حتى ليكون بعضهم ضمن قيادات حريصة على عدم تصعيد منافس يحمل فكرًا لئلا يحرجها، وإلا فلنسأل عن مفكر أو أديب أفرزته الجماعة على مدار عشرات السنوات باستثناء الروائي نجيب الكيلاني رحمه االله، ولنسأل عما أشيع من "تربيطات" للوصول إلى مكتب الإرشاد أعلى قمة الجماعة، وعن حرص الجماعة على إبعاد المخالفين لآرائها عن ميادين صنع القرار الحقيقية، ومن بينهم الدكتور محمد البلتاجي، فك االله أسره، وهو يدفع اليوم ثمن نفس القرارات التي لم يرض عنها.

لنصارح أنفسنا بأن الجماعة التي قيل إنها لم تخرج مجرمًا أو سارقًا أو مزورًا هي التي كانت تنتج بعضًا من أخوة وآباء يرفضون توريث بناتهم وفق شرع االله، وهي التي أثمرت عن تسكين في أماكن العمل الخاص بالجماعة مهنيًا بعد تنظيميًا الكثير ممن يعانون من القصور في الأداء والتفكير حتى وصلت الأمور إلى ما هي عليه اليوم

وليس بآخر فلنسأل عن البلبة وقت الترشح للرئاسة في الأشهر الأولى من عام 2012م، وقرار الجماعة بعدم الترشح للرئاسة ثم قرار الترشح في أبريل/نيسان من نفس العام، وصدق الداعية الإخواني الشهير القائل في جلسة خاصة أيضًا، واللّه در الجلسات الخاصة، قال لا فض فوه، إننا لم ندر لماذا ترشحنا للرئاسة فما بالنا بالناس؟!

وفي المنتصف لنصارح أنفسنا بأن الجماعة التي قيل إنها لم تخرج مجرمًا أو سارقًا أو مزورًا هي التي كانت تنتج بعضًا من أخوة وآباء يرفضون توريث بناتهم وفق شرع االله، وهي التي أثمرت عن تسكين في أماكن العمل الخاص بالجماعة مهنيًا بعد تنظيميًا الكثير ممن يعانون من القصور في الأداء والتفكير حتى وصلت الأمور إلى ما هي عليه اليوم، وأن المجاملة والمحاباة والواسطة أكلت كبد الجماعة من داخلها وما تزال حتى اليوم، وإلا لما رأينا آلافًا من الكفاءات تتضور معاناة اليوم بعد قرابة 6 آلاف شهيد ومليون مطارد وآلاف المصابين، تتضور كفاءات فيما يُنعم بعض فاقدي الضمير ويتقوت بعضهم بحمل الحقائب للقادة، بل صار مجرد حمل الحقيبة ميزة لتولي أمر الجماعة كلها، وما حديث صانع الشاي والقهوة منا بغائب أو بعيد!

إن الإخوان كانوا وما زالوا أحسن ما في مصر، وقس على ذلك الجماعات الإسلامية والحركات في الأمة، ولكنه تفاضل في مقارنة بالأسوأ ليس إلا، مع الاحترام لمخلصين مغلوبين على أمرهم ومبعدين أو يدفعون الثمن!

يوم تستفيد الجماعة والحركات من الدروس القاسية ولا تصر على المكابرة والعناد يأذن االله بنهاية هذه المحنة الفريدة وبتفريج كرب الأمة بداية من قلبها النابض في مصر

ويوم يقوم الإخوان وحركات إسلامية اللّه مثنى وفرادى، كما اشترط تعالى في قرآنه الكريم، مع الفارق، يوم يقومون اللّه ويتفكرون في حلول لمشكلاتهم ويُغلبون مراد االله على مراد أنفس لم ترعه تعالى في المجموع كما ينبغي وما تزال، ويوم يكف الجميع عن ظلم النفس الجمعي بأنواعه الذي أضاع الجمع وقضى على مئات الألوف من الأفراد، ويفهمون مراد االله في عمارة كونه، ولا يلبسونه بالعبادة الخاصة بأحدهم، فيما بينه وبين ربه، يوم تستفيد الجماعة والحركات من الدروس القاسية ولا تصر على المكابرة والعناد يأذن االله بنهاية هذه المحنة الفريدة وبتفريج كرب الأمة بداية من قلبها النابض في مصر.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/18658/